

الأثر النحوي لسيبويه في تهذيب اللغة للأزهري بين الرد والتأييد

م.م. عبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليمي

جامعة تلعفر/ كلية التربية الأساسية/ قسم اللغة العربية

The Grammatical Effect of Seebawayh in Al-Azhari's "Tahtheeb Al-Lugah"

(Language Refinement) Between Sustaining and Opposition

Asst. Lect. Abdul Munim Abdullah Khalaf Hameed Al-Dulaimi

Arabic Dept./ College of Basic Education/ University of Tela'afar

abdmo469@yahoo.com.

Abstract

A summary of what the marked our search (grammar impact of Sibawayh in refining the language of Azahari between the response and support) that Sibawayh abounded his views in refining the language of Azahari, found scientists who takes these views and react to the other, and sometimes respond opinion Sibawayh himself, these issues were syntactic , morphological and linguistic also at interpretation, it was limited as grammatical issues, due to my interest by dividing the search to the entrance, and the study included grammatical issues,..., Ask God to bless us..

الملخص

خلاصة ما في بحثنا الموسوم (الأثر النحوي لسيبويه في تهذيب اللغة للأزهري بين الرد والتأييد) أن سيبويه الفارسي الولادة العربي التعلم والثقافة، كثرت آراؤه في تهذيب اللغة للأزهري، فوجدت من العلماء من يأخذ بهذه الآراء ويرد بها على غيره باتخاذها حجة، وأحيانا يردون رأي سيبويه نفسه، فكانت هذه المسائل نحوية وصرفية ولغوية وفي التفسير أيضا، فاقترضت على مسائل النحو، نظرا لاهتمامي بها فقسم البحث إلى مدخل اشتمل على سيبويه ونحوه، ودراسة تضمنت المسائل النحوية البالغة ١٢ مسألة، ثم خاتمة وثبت المصادر والمراجع... فأسأل الله الموفقية...

مدخل

من الطبيعي أن لكل عمل تأثيل وتأسيس وتأصيل وأثل وأس عملنا هذا يبدأ من عالم جليل الشأن والقدر إنه صاحب الكتاب الفريد في النحو واللغة جميعا، إذ تصدر كتب النحو فلم يؤلف مثله كتاب عند سابقه ومن جاء بعده عدوا من تابعيه... لذا لا بد من بيان ماهية هذا العالم وقيمة نحوه بغض النظر عن حياته وشيوخه وتلاميذه كونها كثيرة في بطون الكتب فلا يخفى على أهل العربية ذلك كما لا يخفى عليهم معرفة تهذيب اللغة فقد باتت الدراسات تقطع به أشواط... فلا يجدر بنا إلا بيان ماهية نحو هذا العالم بصورة موجزة...

سيبويه

هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، المعروف بسيبويه النحوي، مولى بني الحارث بن كعب. وقيل: مولى آل الربيع بن زياد... وسيبويه يعني: رائحة التفاح... كان شابا جميلا نظيفاً، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم مع حادثة سنه وبراعته في النحو^(١)، ومن جميل ما قاله العلماء به، أنه وصف بالنظيف الجميل، وقال الذهبي: ((قَالَ الْعِشِّيُّ: كُنَّا نَجْلِسُ مَعَ سَيْبَوَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ شَابًا جَمِيلًا، نَظِيفًا، قَدْ تَعَلَّقَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِسَبَبٍ، وَضَرَبَ بِسَهْمٍ فِي كُلِّ أَدَبٍ مَعَ حَدَاثَةِ سِنِّهِ.))^(٢)، وقد بين ياقوت الحموي بأن في لسانه حبسة، فقال: ((وحدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال: ذكر سيبويه عند أبي فقال: عمرو بن عثمان، قد

(١) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٩/ ٥٣ - ٥٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ط الرسالة: ٨/ ٣٥٢.

رأيت، وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم وينظر في النحو، وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه فرأيت علمه أبلغ من لسانه.))^(١)

يعد سيبويه من أبرز الأعلام شهرة لما له من أثر كبير على من أتى بعده حتى روي بأنه يأخذ من كل علم بطرف، وأن الجن كانت تعجب بعلمه، قال أبو البركات: ((قال ابن عائشة: ... فبينما نحن ذات يوم إذ هبت ريح فأطارت الورق، فقال لبعض أهل الحلقة: انظر أي ريح هي؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس، فنظر ثم عاد فقال: ما ثبتت على شيء، فقال سيبويه: العرب تقول في مثل هذا: "قد نذابت الريح" وتذابت الريح، أي فعلت فعل الذنب؛ وذلك أنه يجيء من هاهنا وههنا، ليخيل، فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب. قال أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد: قال ابن كيسان: سهرت ليلة أدرس ففتمت، فرأيت جماعة من الجن يتذكرون الفقه والحديث والحساب النحو والشعر، [قال]: فقلت لهم: أفياكم علماء؟ قالوا: نعم، فقلت من همي [في] النحو: إلى من تميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه. قال أبو عمر: فحدثت بها أبا موسى - وكان يغبطه لحسد كان بينهما - فقال لي أبو موسى: إنما مالوا إليه؛ لأن سيبويه من الجن.))^(٢)

نحوه

عمل كتابه الذي ضرب به المثل وقد عرف بهذا الاسم؛ لأن سيبويه قد أثنى المنية ولم يستطع أحد من تلاميذه على أن يعطي له اسماً يعرف به فبقي على هذا الاسم^(٣).

ولم يكن سيبويه قد أعلم الناس عن الكتاب وأشاعه بينهم ولم يصرح سيبويه باسمه في الكتاب؛ ربما ليدل على تواضعه... بل أنه كان يقرأه على تلاميذه وفيهم الأخفش وعند وفاة سيبويه أيضاً لم يزل الكتاب لم يظهر لذا قيل: ((إن أبا عمر الجرمي وأبا عثمان المازني - وكانا رفيقين - توهما أن أبا الحسن الأخفش قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه، فقال أحدهما للآخر: كيف السبيل إلى إظهار الكتاب ومنع الأخفش من ادعائه؟ فقال له: نقرؤه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكنه أن يدعيه. وكان أبو عمر الجرمي موسراً وأبو عثمان المازني معسراً، فأرغب أبو عمر الجرمي أبا الحسن الأخفش، وبذل له شيئاً من المال على أنه يقرئه وأبا عثمان المازني الكتاب، فأجاب إلى ذلك، وشرعا في القراءة عليه، وأخذ الكتاب عنه، وأظهر أنه لسيبويه وأشاع ذلك))^(٤)، حتى أصبح الكتاب وسيلة للتجارة بين العلماء فكان العالم إذا أراد أن يقرئ شخصاً ما فذلك يكون بمقابل النقود؛ لما به من ثراء نحوي ولغوي قيم، ((قال أبو العباس أحمد بن يحيى: حدثنا سلمة قال: حدثني الأخفش أن الكسائي لما قدم البصرة، سألتني أن أقرأ عليه - أو أقرئه - كتاب سيبويه، ففعلت، فوجه إلي خمسين ديناراً.))^(٥)، وكان الفراء عندما مات وجد هذا الكتاب تحت وسادته^(٦).

لذا كان يقال بالبصرة قرأ فلان الكتاب فيعلم أنه كتاب سيبويه، وكان المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: هل ركب البحر. تعظيماً له واستصعاباً لما فيه، وذهب السيرافي إلى أنه لم نعلم أحداً قرأ كتاب سيبويه عليه، إنما قرئ بعده على أبي الحسن الأخفش، وكان سيبويه لما قدم بغداد، فناظر سيبويه الكسائي وأصحابه، فلم يظهر عليهم، فسأل من يبذل من الملوك ويرغب في النحو؟ فقيل له: طلحة بن طاهر^(٧).

قال السيوطي: ((وهو أعلم الناس بالنحو بعد الخليل، وألف كتابه الذي سماه قران النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ

الخليل.))^(٨)، وقال البغدادي: ((وقال ابن كيسان نظرت في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذي يستحقه ووجدنا ألفاظه تحتاج

(١) معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٢١٢٤ / ٥.

(٢) نزاهة الألباء في طبقات الأديب: ٥٦.

(٣) ينظر: الكتاب، مقدمة المحقق: ٢٤ / ١.

(٤) نزاهة الألباء في طبقات الأديب: ١٠٨.

(٥) نزاهة الألباء في طبقات الأديب: ١٠٨.

(٦) ينظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١٤ / ٤.

(٧) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٥٥ / ٩.

(٨) المزهري في علوم اللغة وأنواعها: ٣٤٧ / ٢.

إلى عبارة وإيضاح؛ لَأَنَّهُ كِتَابُ أَلْفٍ فِي زَمَانٍ كَانَ أَهْلُهُ يَأْلِفُونَ مِثْلَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فَاخْتَصَرَ عَلَى مَذَاهِبِهِمْ^(١)، وقال أيضاً: ((قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ وَرَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ سُلَيْمَانَ يَذْهَبُ إِلَى غَيْرِ مَا قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ قَالَ عَمِلَ سَيِّبِيُّهُ كِتَابَهُ عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ وَخَطَبَهَا وَبَلَغَتْهَا فَجَعَلَ فِيهِ بَيْنًا مَشْرُوحًا وَجَعَلَ فِيهِ مَشْتَبَهَا لِيَكُونَ لِمَنْ اسْتَبْطَ وَنَظَرَ فَضْلًا^(٢)))، لذا عد قدوة للنحو ورائدا مهما في تأسيس النحو العربي، حتى قيل أنه ((بَرَزَ مِنْ أَصْحَابِ الْخَلِيلِ أَرْبَعَةٌ: النَّضْرُ، وَسَيِّبِيُّهُ، وَعَلِيُّ بْنُ نَصْرِ، وَمُؤَرِّجُ بْنُ عَمْرٍو السَّدُوسِيُّ، وَكَانَ أَبْرَعُهُمْ فِي النَّحْوِ: سَيِّبِيُّهُ، وَغَلَبَ عَلَى النَّضْرِ اللَّغَةُ، وَعَلَى مَوْجِ الشَّعْرِ وَاللُّغَةُ، وَعَلَى عَلِيِّ الْحَدِيثِ^(٣)))...

لذلك أصبح الكتاب هدية للملوك وعظمة على من يقرأه فهذا الجاحظ عندما أراد الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء يهديه إليه، فلم يجد شيئاً أفضل من كتاب سيبويه، فقال له: أردت أن أهدي لك شيئاً، ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر شيئاً أشرف من هذا الكتاب وقد اشتريته من ميراث الفراء، فقال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب لي منه. وكان يقال بالبصرة "قرأ فلان الكتاب" فيعلم أنه كتاب سيبويه، و"قرأ نصف الكتاب"، فلا يشك أنه كتاب سيبويه. وكان أبو العباس المبرد إذا أراد مريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه، يقول له: هل ركب البحر! تعظيماً لكتاب سيبويه واستصعاباً لما فيه^(٤).

وكان تعلم سيبويه لعلم العربية هو أنه ((يستلمي على حماد بن سلمة، فقال حماد يوماً: قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (ليس أحدٌ من أصحابي إلّا وقد أخذت عليه، ليس أبا الدرداء)^(٥)، فقال سيبويه: "ليس أبو الدرداء"، فقال له [حماد]: لحن، "ليس أبا الدرداء"، فقال سيبويه: لا جرم! لأطلين علماً لا تلحنني فيه أبداً، وطلب النحو^(٦))).

وكان النحو أغلب عليه، وكان قدم بغداد فجمع بينه وبين أصحاب النحو، فاستدل، فرجع ومضى إلى بعض مدن فارس، فهلك هناك وهو شاب، وروي عن أبي زيد، أنه قال: كان سيبويه غلاماً يأتي مجلسي، وله ذؤابتان. قال: وإذا سمعته يقول: أخبرني من أثق بعربيته، فإنما يريدني^(٧)...

بل أن براعة سيبويه بالنحو هو الذي أوعز إلى ابن كيسان بأن يتهمه بأنه من الجن ((قال ابن كيسان: سهرت ليلة أدرس فمنت، فرأيت جماعة من الجن يتذاكرون الفقه والحديث والحساب النحو والشعر، قال: فقلت لهم: أفيمكم علماء؟ قالوا: نعم، فقلت من همي في النحو: إلى من تميلون من النحويين؟ قالوا: إلى سيبويه. قال أبو عمر: فحدثت بها أبا موسى - وكان يغبطه لحسدٍ كان بينهما - فقال لي أبو موسى: إنما مالوا إليه؛ لأن سيبويه من الجن^(٨)))، وهذا كلام لا صحة له في الواقع، لأنه مجرد حلم رآه في المنام، وإن دل على شيء فهو يدل على ذكاء هذا العالم الخارق للعادة المتحلي بدين الإسلام.

قصة وفاته

في نهايات حياته قدم سيبويه إلى الكوفة على يحيى بن خالد البرمكي ليجتمع بينه وبين الكسائي، إذ غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة، فما أجابه عنها بجواب إلا قال: أخطأت يا بصري، فوجم سيبويه وقال: هذا سوء أدب، ووافى الكسائي وقد شقَّ أمره عليه، ومعه خلق كثير من العرب، فلما جلس قال له: يا بصري كيف تقول خرجت وإذا زيد قائم، قال: خرجت وإذا زيد قائم، قال: فيجوز أن تقول خرجت فإذا زيد قائم؟ قال: لا، قال الكسائي: فكيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشدَّ لسعة من الزنبور فإذا هو هي أو فإذا هو إياها، فقال سيبويه: فإذا هو هي ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: لحن، وخطأه الجميع، وقال الكسائي: العرب ترفع ذلك كله وتتصبه، ودفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما فمن يحكم بينكما؟ وهذا موضع مشكل، فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد جمعتهم من كل أوب،

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ١ / ٣٧١.

(٢) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ١ / ٣٧٢.

(٣) تاريخ الإسلام تدمري: ١٧٣ / ١٠.

(٤) ينظر: نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٥٥، وينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٥ / ٢١٢٨، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ٢ / ٣٥١.

(٥) لم أجد لهذا الحديث تخريجا في كتب الحديث.

(٦) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٥٤.

(٧) ينظر: المعارف: ١ / ٥٤٤.

(٨) نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ٥٦.

ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس، وقد قنع بهم أهل المصريين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم، فيحضرهم ويسألون، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم، فدخلوا وفيهم أبو فقفس وأبو دثار وأبو ثروان فسنلوا عن المسائل التي جرت بينهما، فتابعوا الكسائي، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل، فانصرف المجلس على سيبويه، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس وأقام هناك حتى مات غما بالذرب سنة (١٨٠ هـ)، ولم يلبث إلا يسيرا ولم يعد إلى البصرة^(١)...

وكان خير من رثاه هو الزمخشري بقوله^(٢):

ألا صلى الإله صلاة صدق... على عمرو بن عثمان بن قنبر
فإن كتابه لم يغن عنه... بنو قلم ولا أبناء منبر

ونظرا لأهمية نحو الكتاب وأسبقته في النحو العربي فقد أخذ العلماء آراءه في مؤلفاتهم وإن كانوا قد غيروا بالمصطلحات ولكن أغلب المفاهيم بقيت على حالها، فكان من المتقدمين الأزهري وقد جاء كتابه موسوعيا كونه ملما في ألفاظ اللغة، وكون هدفه تهذيب اللغة من الأخطاء الواقعة على يد سابقه فقد جمع بين النحويين واللغويين في كتابه بين مؤيد ورافض لفكرته، لذا جاءت آراء سيبويه متنوعة في تهذيب اللغة ومنها الآراء النحوية لذا حري بي أن أتناول أثر سيبويه النحوي الفارسي الولادة العربي التعلم والثقافة في كتاب تهذيب اللغة للأزهري، وقد بلغت هذه الآراء بعد التحري والمتابعة الطويلة (١٢) مسألة، كما هي في الدراسة.

الدراسة

رد ابن سيدة على الزجاج بالاحتجاج برأي سيبويه

(بدل الغلط)

قال الأزهري: ((قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿فَلْتَلَّ أَعْنَاقَهُمْ لَمَا خَضِعِينَ﴾ (الشُّعْرَاءُ: ٤) ... وَقَالَ الْفَرَاءُ: الْأَعْنَاقُ إِذَا خَضَعْتَ فَأَرْبَابَهَا خَاضِعُونَ. فَجَعَلَ الْفِعْلَ أَوَّلًا لِلْأَعْنَاقِ ثُمَّ جَعَلَ خَاضِعِينَ لِلرَّجَالِ. قَالَ: وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: خَضَعْتَ لَكَ، فَتَكْتَفِي مِنْ قَوْلِكَ خَضَعْتَ لَكَ رِقْبَتِي. وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقٍ: ... وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ وَجْهًا آخَرَ، قَالُوا: مَعْنَاهُ فَطَلَّتْ أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ هُمْ، وَأَضْمَرَ (هُمْ) وَأَنْشَدَ:

صَدَىءُ الْحَدِيدِ عَلَى الْكُمَاةِ^(٣)

تَرَى أَرْبَاقَهُمْ مُتَقَلِّدِيهَا كَمَا

قَالَ: وَهَذَا لَا يَجُوزُ مِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ. فَهَذَا عَلَى بَدْلِ الْغَلَطِ يَجُوزُ فِي الشَّعْرِ، كَأَنَّهُ قَالَ تَرَى أَرْبَاقَهُمْ تَرَى مُتَقَلِّدِيهَا، كَأَنَّهُ قَالَ: تَرَى قَوْمًا مُتَقَلِّدِي أَرْبَاقَهُمْ. وَقُلْتُ: وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ الرَّجَاجُ مَذْهَبُ الْخَلِيلِ. وَمَذْهَبُ سَيْبَوَيْهِ أَنَّ بَدْلَ الْغَلَطِ لَا يَجُوزُ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. قُلْتُ: وَخَضَعَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يَكُونُ لَازِمًا وَوَاقِعًا، تَقُولُ خَضَعْتُهُ فَخَضَعَ^(٤)، بَيْنَ الْأَزْهَرِيِّ أَنَّ الرَّجَاجَ لَا يَأْخُذُ بِبَدْلِ الْغَلَطِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا يَجِيزُهُ فِي الشَّعْرِ فَقَاسَ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ وَلِذَلِكَ قَدَّرَ (هَمْ)، أَمَا سَيْبَوَيْهِ فَلَا يَجِيزُهُ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلَمْ يَقْسَ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَصْرَحْ سَيْبَوَيْهِ بِأَنَّهُ يَجِيزُهُ فِي الشَّعْرِ أَوْ لَا يَجِيزُهُ، فِي حِينِ نَجْدِ الْمَبْرَدِ يَرْفُضُ إِجَازَةَ هَذَا الْبَدْلِ فِي كَلَامِ اللهِ وَالشَّعْرِ مَعًا، فَقَالَ: ((وَلِلْبَدْلِ مَوْضِعٌ آخَرُ وَهُوَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَدْلُ الْغَلَطِ وَذَلِكَ قَوْلُكَ مَرَزْتُ بِرَجُلٍ حِمَارٍ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ مَرَزْتُ بِحِمَارٍ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ غِلَطٌ فِي قَوْلِهِ مَرَزْتُ بِرَجُلٍ فَتَدَارِكُ فَوْضِعَ الَّذِي جَاءَ بِهِ وَهُوَ يُرِيدُهُ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ يَكُونُ كَأَنَّهُ نَسِيَ فَذَكَرَ فَهَذَا الْبَدْلُ لَا يَكُونُ مِثْلُهُ فِي قُرْآنٍ وَلَا شِعْرٍ وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ مِثْلُهُ فِي الْكَلَامِ غَلَطًا أَوْ نِسْيَانًا فَهَكَذَا إِعْرَابُهُ^(٥)، وَتَابِعَهُ ابْنُ السَّرَاجِ^(٦)، وَابْنُ الصَّائِغِ^(٧)، وَغَيْرُهُمَا^(٨)، إِلَّا أَنَّ السَّيْوُطِيَّ عَدَّ سَيْبَوَيْهِ

(١) ينظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: ٥/ ٢١٢٥، و تاريخ بغداد ت بشار: ١٤/ ٩٩.

(٢) ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: ٢٢٤.

(٣) لم أجد له قائلا، والمعنى من ذلك أن وجه الشجعان عليها درع من حديد وخاصة في الحرب فهم يتقلدوها أي يلبسوها على وجوههم ويتكلمون بها (أي تلمنون)، كما يوضع على وجه الغنم الصغار الرضع لكي لا ترضع، والله أعلم.

(٤) تهذيب اللغة: ١/ ١٠٨.

(٥) المقتضب: ١/ ٢٨.

(٦) ينظر: الأصول في النحو: ٢/ ٤٨.

(٧) ينظر: الملح في شرح الملحة: ٢/ ٧١٦.

(٨) ينظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ٢/ ١٠٤٠.

يجوز بدل الغلط ورأى بأن القياس يقتضيه، فقال: ((وأما بدل الغلط فجوز فيه سيبويه وجماعة والقياس يقتضيه، وتبدل (الجملة من الجملة) نحو: ﴿أَمَذَكُرُ يَمَاعِلَمُونَ﴾ (١٣٢) ﴿أَمَذَكُرُ يَمَاعِلَمُونَ﴾ (١٣٣) [الشعراء: ١٣٢، ١٣٣]، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (١٣٣) [المؤمنون: ١١١] بـكسر إن))^(١)، وهذا الرأي يصب بجانب الزجاج، وفرق ابن الصبان بين بدل الغلط وبدل النسيان ورأى بأن الكثير من النحويين يسمون النوعين بدل غلط، فقال: ((بدل سببه الغلط؛ لأنه بدل عن اللفظ الذي هو غلط لأنه نفسه غلط، وإن كان مقصوداً فإن تبين بعد ذكره فساد قصده فبدل نسيان أي: بدل شيء ذكر نسياناً، وقد ظهر أن الغلط متعلق باللسان والنسيان متعلق بالجنان، والناظم وكثير من النحويين لم يفرقوا بينهما فسموا النوعين بدل غلط))^(٢).

وبذلك وإن كان رأي السيوطي يصب بجانب الزجاج في اجازة بدل الغلط في القرآن الكريم غير أنه ليس له الدليل المقنع والكافي في توضيح الرأي، الأمر الذي يعيدنا إلى تأييد سيبويه في نص الأزهرى من أنه لم يجز بدل الغلط في القرآن الكريم وهو الذي اعتمده النحاة واعتادوا عليه...

رد الزجاج على سيبويه

تعريف وتنكير لفظتي

(بعض وكل)

قال الأزهرى: ((... وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قُلْتُ لِلأَصْمَعِيِّ: رَأَيْتُ فِي (كِتَابِ ابْنِ الْمُفَضَّلِ): (الْعِلْمُ كَثِيرٌ وَلَكِنْ أَخَذَ الْبَعْضُ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكُلِّ). فَأَنْكَرُهُ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ وَقَالَ: الْأَلْفُ وَاللَّامُ لَا تَدْخُلَانِ فِي بَعْضٍ وَكُلٍّ؛ لِأَنَّهُمَا مَعْرِفَةٌ بِغَيْرِ أَلْفٍ وَلَا مِ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿شَكَاءَ اللَّهِ وَكُلٌّ﴾ (النمل: ٨٧) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: وَلَا تَقُولُ الْعَرَبُ الْكُلَّ وَلَا الْبَعْضَ، وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ النَّاسُ حَتَّى سَبَّيَوِيهِ وَالْأَخْفَشُ فِي كِتَابِهِمَا، لِقَلَّةِ عِلْمِهِمَا بِهَذَا النَّحْوِ، فَاجْتَبَيْتُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ.))^(٣)، فالزجاج أنكر أن العرب فيما فيهم سيبويه غافلون عن أن (أل) التعريف في (الكل والبعض) ليست جائزة ولذلك استخدموها، ولرأي الزجاج هنا دليل فقد استخدم سيبويه (الكل) في قوله: ((كل شاة وسخلتها بدرهم... ومن قال كل شاة وسخلتها، فجعله بمنزلة كل رجل وعبد الله منطلقاً لم يقل في الراعين إلا النصب، لأنه إنما يريد حينئذ المعرفة، ولا يريد أن يدخل السخلة في الكل لأن كل لا يدخل في هذا الموضع إلا على النكرة.))^(٤)، كما استخدم (البعض)، بقوله: ((وإنما أنت البعض لأنه أضافه إلى مؤنث هو منه))^(٥)، فسبويه لم يبين (أل) التعريف الداخلة على اللفظتين، وكذلك المبرد^(٦)، وابن السراج^(٧) فقد استخدمنا لفظتي (البعض والكل)...، وبين الوراق بأن لفظة (البعض) لا تؤنث ولا تجمع، فقال: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ (لَيْسَ، وَلَا يَكُونُ) إِذَا أُريدَ بِهِمَا الْإِسْتِثْنَاءُ فِيهِمَا ضَمِيرُ اسْمِهِمَا، وَلَا يَتَى ذَلِكَ الضَّمِيرُ وَلَا يَجْمَعُ، وَلَا يُونُثُ، وَإِنْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مُؤَنَّثًا، كَقَوْلِكَ: جَاءَنِي النِّسْوَةُ لَيْسَ فَلَانَةً، وَتَقْدِيرُ الْمُضْمَرِ: لَيْسَ بَعْضُهُمْ فَلَانَةً، وَكَذَلِكَ: لَا يَكُونُ بَعْضُهُمْ فَلَانَةً، وَأَيْمًا قَدَرُ الضَّمِيرِ بِتَقْدِيرِ (الْبَعْضِ)، لِأَنَّ الْبَعْضَ يَنْتَظِمُ الْوَاحِدَ فَمَا فَوْقَهُ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ فِي اللَّفْظِ))^(٨).

وبذلك فنفي الزجاج بأن العرب غافلون عن أن (أل) التعريف في (الكل والبعض) ليست جائزة ولذلك استخدموها ربما أصاب؛ لأن النحاة بما فيهم سيبويه لم يركز على المسألة ولكنه استخدمها كما بينا...

(١) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١٨٣/٣.

(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ١٨٧/٣.

(٣) تهذيب اللغة: ٣٠٨/١ - ٣١١.

(٤) الكتاب: ٤٤/١، و ٨٢/٢.

(٥) الكتاب: ٥١/١.

(٦) ينظر: المقتضب: ٢٤٣/٣.

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ٩٠٤/١، و ٩/٢.

(٨) علل النحو: ٤٠٢.

رد ابن سيدة على سيبويه

تنثية سعديك والفعل منها

قال الأزهري: ((روي عن النبي ﷺ) أنه كان يقول في افتتاح الصلاة: (لبيك وسعديك، والخير في يدك، والشر ليس إليك). قلت: ... فأما لبيك فهو مأخوذ من لبّ بالمكان واللبّ أي أقام به، لباً والباباً، كأنه يقول: أنا مقيم في طاعتك إقامة بعد إقامة، ومجيب لك إجابة بعد إجابة.... وقال سيبويه: كلام العرب على المساعدة والإسعاد، غير أن هذا الحرف جاء مثني على سعديك ولا فعل له (على سعد...) ^(١)، بين سيبويه بأن (سعديك) جاء على صيغة المثني وأنه لا فعل له على (سعد) وإنما الفعل منه (أسعد)، وعلى رأي ابن سيدة (سعد)، ولرأي سيبويه له من يؤيده وهذا ما نجده في كلام المبرد، إذ قال: ((وقولك: سعديك إنما معناه من قولك: قد أسعد فلان فلاناً على أمره)) ^(٢)، وقال ابن الصبان: ((وفي سعديك أسعد مضارع أسعد رباعياً)) ^(٣)، وبين الغلابيني بأن سعديك مفعول مطلق، فقال: ((ومعنى "سعديك" إسعاداً لك بعد إسعاد. وهي لا تستعمل إلا بعد "لبيك". ومعنى "حنانيك" تحنناً عليك بعد تحنن. ومعنى "دواليك" تداولاً بعد تداول. وهذه المصادر منصوبة على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف، إذ التقدير "ألبيك تلبيةً بعد تلبية. وأسعدك إسعاداً)) ^(٤)، وعلى ذلك نجد أن الرأي الراجح هو رأي سيبويه لإجماع أكثر النحاة عليه كما بينا ذلك.

تأييد الزجاج لسيبويه

نصب سبحان على المصدر

قال الأزهري: ((وقال الزجاج في قول الله جل وعز: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء: ١) منصوب على المصدر، أسبح الله تسبيحاً. قال: وسبحان في اللغة: تنزيه لله عز وجل عن السوء. قلت: وهذا قول سيبويه، يقال: سبحت الله تسبيحاً وسبحاناً بمعنى واحد، فالمصدر تسبيح، والاسم سبحان يقوم مقام المصدر. قال سيبويه: وقال أبو الخطاب الكبير: سبحان الله كقولك: براءة الله من السوء، كأنه قال: أبرأ الله من السوء)) ^(٥)، أخذ الزجاج برأي سيبويه بنصب (سبحان) على المصدر. وقال المبرد: ((هذا باب ما جرى مجرى المصادر وليس بمتصرف من فعل) فمن ذلك: سبحان الله، ومعاذ الله، وقولهم: أفة، وتفة، وويلا لزيد، وويحا له، وسلام على زيد، وويل لزيد، وويح له، وترها له كل هذا معناه في النصب واحد)) ^(٦)، وتابعه ابن السراج ^(٧)، وابن جني ^(٨)، والزمخشري ^(٩)، وبذلك نكتفي وأقول إن المسألة ليس بها خلاف بين علماء النحو، وبذلك يكون سبحان منصوب على المصدر وهو رأي سيبويه ومن تابعه.

تأييد ابن سلام لسيبويه

النصب على الاستثناء

قال الأزهري: ((أخبرني المنذري عن فهم عن ابن سلام قال: سألت سيبويه عن قوله: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيبَةً أَمَتٌ فَتَنَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ (يونس: ٩٨) على أي شيء نصب؟ قال: إذا كان معنى إلا لكن نصب. وقال الفرّاء في قراءة أبي (فهلاً) وفي مصحفنا (فلولا). قال: ومعناها أنهم لم يؤمنوا ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الإنقطاع بما قبله. كأن قوم يونس كانوا منقطعين من قوم غيره. وقال الفرّاء أيضاً: لولا إذا كانت مع الأسماء، فهي شرط، وإذا كانت مع الأفعال، فهي بمعنى هلاً، لوم على ما مضى وتحضيض لما

(١) تهذيب اللغة: ٤٣ / ٢.

(٢) المقتضب: ٢٢٦ / ٣.

(٣) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: ٣٨٠ / ٢.

(٤) جامع الدروس العربية: ٢١٥ / ٣.

(٥) تهذيب اللغة: ١٩٦ / ٤، وأفرد سيبويه لذلك باباً، ينظر: الكتاب: ٣٢٢ / ١.

(٦) المقتضب: ٢١٧ / ٣.

(٧) ينظر: الأصول في النحو: ٢٥٢ / ٢.

(٨) ينظر: المنصف: ١٢٢.

(٩) ينظر: المفصل في صناعة الإعراب: ٥٧.

يأتي.))^(١)، رأى سيبويه أن (قوم يونس) نصب على الاستثناء بصفة أن إلا بمعنى لكن، وذهب الفراء بذلك التوجيه إلى قراءة أبي، وأخذ الأخفش برأي سيبويه، فقال: ((فإلا" تجيء في معنى "لكن". وإذا عرفت أنها في معنى "لكن" فينبغي أن تعرف خروجها من أوله.))^(٢)، وبين الطبري التعليل من ذلك النصب، فقال: ((فكيف نصب "قوم" وقد علمت أن ما قبل الاستثناء إذا كان جحدًا كان ما بعده مرفوعًا، وأن الصحيح من كلام العرب: "ما قام أحدٌ إلا أخوك"، و"ما خرج أحدٌ إلا أبوك"؟ قيل: إن ذلك فيما يكون كذلك إذا كان ما بعد الاستثناء من جنس ما قبله، وذلك أن "الأخ" من جنس "أحد"، وكذلك "الأب"، ولكن لو اختلف الجنس حتى يكون ما بعد الاستثناء من غير جنس ما قبله، كان الفصحى من كلامهم النصب، وذلك لو قلت: "ما بقي في الدار أحدٌ إلا الوتد"، و"ما عندنا أحدٌ إلا كلبًا أو حمارًا"، لأن "الكلب"، و"الوتد"، و"الحمار"، من غير جنس "أحد"... فكذاك نصب (قوم يونس)، لأنهم أمة غير الأمم الذين استثنوا منهم، ومن غير جنسهم))^(٣)، ولكن الزجاج أتى برأي مغاير لذلك، إذ قال: ((استثناء ليس من الأول، كأنه قال لكن قوم يونس لما آمنوا.))^(٤)، وتابع الزمخشري سيبويه، فقال: ((استثناء من القرى؛ لأن المراد أهاليها، وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا. ويجوز أن يكون متصلًا والجملة في معنى النفي، كأنه قيل: ما أمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس، وانتصابه على أصل الاستثناء.))^(٥)، كما تابع ابن عطية رأي سيبويه، فقال: ((والنصب في قوله "إلا قوم" هو الوجه ولذلك أدخله سيبويه في باب ما لا يكون فيه إلا النصب))^(٦)، وعلى ذلك أقول أن لرأي سيبويه شبه إجماع فكما رأينا فقد وجدنا أغلبهم يأخذون برأيه.

أيد الزجاج سيبويه وخالف الفراء وأبا العباس النصب على النداء

قال الأزهري: ((وَقَالَ الزَّجَّاجُ^(٧) فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا﴾ (المائدة: ١١٤) ذَكَرَ سَيْبَوَيْهِ أَنَّ اللَّهَ كَالصَّوْتِ وَأَنَّهُ لَا يَوْصَفُ، وَأَنَّ رَبَّنَا مَنْصُوبٌ عَلَى نِدَاءٍ آخَرَ. قُلْتُ: وَأَنْشُدْ قُطْرِبَ:

إِنِّي إِذَا مَا مَطَعَمَ أَلْمَا أَقُولُ يَا اللَّهُمَّ يَا اللَّهُمَّا^(٨)

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الدَّلِيلُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ الْفَرَّاءِ وَأَبِي الْعَبَّاسِ فِي اللَّهُمَّ أَنَّهُ بِمَعْنَى يَا اللَّهُ أُمَّ، إِذْ خَالَ الْعَرَبَ (يَا) عَلَى (اللَّهُمَّ). وَرَوَى سَلَمَةُ عَنْ الْفَرَّاءِ أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ قَوْلِهِ الْأَوَّلِ: وَمَنْ الْعَرَبُ مَنْ يَقُولُ إِذَا طَرَحَ الْمِمْ: يَا اللَّهُ اغْفِرْ لِي بِهَمَزَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: يَلَلَهُ بِغَيْرِ هَمَزَةٍ، فَمَنْ حَذَفَ الْهَمَزَةَ فَهُوَ عَلَى السَّبِيلِ، لِأَنَّهَا أَلْفٌ وَلَامٌ، مِثْلَ الْحَارِثِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَأَشْبَاهِهِ...))^(٩)، وبين الزجاج بأن سيبويه نصب لفظ (ربنا) على النداء وأن (اللهم) كالصوت وهو بذلك خالف الفراء وأبا العباس، وتابع ابن عطية سيبويه، فقال: ((واللهم عند سيبويه أصلها يا الله فجعلت الميمان بدلا من ياء وربنا منادى آخر، ولا يكون صفة لأن اللهم يجري مجرى الأصوات من أجل ما لحقه من التغيير))^(١٠)، وكذلك القرطبي، فقال: ((قوله تعالى: { قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا } الأصل عند سيبويه يا الله، والميمان بدل من { يا } { رَبَّنَا } نداء ثان لا يجيز سيبويه غيره ولا يجوز أن يكون نعتا لأنه قد أشبه الأصوات من أجل ما لحقه.))^(١١)، وكذلك ابن عادل تابع سيبويه^(١٢)، وعلى ذلك أرى بأن رأي سيبويه عليه إجماع، ولم أجد من يؤيد كلام الفراء وأبي العباس على حد قول أبي البركات.

أخذ سيبويه رأي شيخه الخليل

(١) تهذيب اللغة: ٢٣٨ / ٥ - ٢٣٩، وينظر: الكتاب: ٣٢٥ / ٢.

(٢) معاني القرآن: ١٢٣ / ١.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاك: ٢٠٦ / ١٥.

(٤) معاني القرآن وإعرابه: ٣٤ / ٣.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣٥٣ / ٢.

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١٦١ / ٣.

(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٢١ / ٢.

(٨) لم أجد له قائل معين.

(٩) تهذيب اللغة: ٢٢٥ / ٦.

(١٠) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٢٦١ / ٢.

(١١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٦٧ / ٦.

(١٢) ينظر: تفسير اللباب: ٦٠٩ / ٧.

المنادى المعروف بأل

قال الأزهري: ((قَالَ سِيبَوَيْهٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْخَلِيلِ، إِذَا قُلْتَ: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ، فَأَيُّ اسْمٍ مُبْهَمٍ مَبْنِيٍّ عَلَى الضَّمِّ، لِأَنَّهُ مُنَادَى مُفْرَدٌ، وَالرَّجُلُ صِفَةٌ لِأَيٍّ، تَقُولُ: يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَقْبَلُ، وَلَا يَجُوزُ يَا الرَّجُلَ، لِأَنَّ يَا تَنْبِيَهُ بِمَنْزِلَةِ التَّعْرِيفِ فِي الرَّجُلِ، فَلَا يُجْمَعُ بَيْنَ يَا وَبَيْنِ الْأَلْفِ وَاللَّامِ، فَتَصِلُ إِلَى الْأَلْفِ وَاللَّامِ بِأَيٍّ، وَهَذَا لَازِمَةٌ لِأَيٍّ لِلتَّنْبِيهِ، وَهِيَ عَوْضٌ مِنَ الْإِضَافَةِ فِي أَيٍّْ، لِأَنَّ أَصْلَ أَيٍّْ أَنْ تَكُونَ مُضَافَةً إِلَى الْإِسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ، وَتَقُولُ لِلْمَرْأَةِ: أَيُّبَتِهَا الْمَرْأَةُ، وَالْقُرَّاءُ كُلُّهُمْ قَرَأُوا: {أَيُّهَا} (النِّسَاءُ: ١٣٣) و {وَوَيْلَا أَيُّهَا النَّاسُ} (البَقَرَةُ: ٢١) و {وَوَيْلَايَهُ الْمُؤْمِنُونَ} (النُّور: ٣١) إِلَّا ابْنَ عَامِرٍ فَإِنَّهُ قَرَأَ (أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) وَلَيْسَتْ بِجَيِّدَةٍ))^(١)، فسيبويه رأى أن المنادى المفرد المعروف بأل ينادى ب (يا أيها) والرجل يكون صفة و (أي) اسم مبهم مبني على الضم في محل نصب منادى، وبين السبب في ذلك على أن (يا) حرف تنبيه وتكون بمنزلة التعريف فلم يجز اجتماع تعريفان (يا) و (أل) التعريف، وتابعهما المبرد، فقال: ((قَوْلُكَ يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَقْبَلُ أَيْ مَدْعُو وَالرَّجُلُ نَعْتٌ لَهَا وَهَذَا لِلتَّنْبِيهِ لِأَنَّ الْأَسْمَاءَ الَّتِي فِيهَا الْأَلْفُ وَاللَّامُ صِفَاتٌ لِلْمُبْهَمَةِ مَبْنِيَّةٌ))^(٢)، إلا أن ابن الوراق قال: ((يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ أَقْبَلُ، ف (أي) هُنَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الضَّمِّ ك (زيد) وموضعها نصب، لِأَنَّ لَفْظَ النِّدَاءِ وَقَعَ عَلَيْهَا، وَالرَّجُلُ: مَرْفُوعٌ وَهُوَ نَعْتٌ ل (أي)، بِمَنْزِلَةِ قَوْلِكَ: يَا زَيْدَ الظَّرِيفِ))^(٣)، وتابعهما ابن جني^(٤)، والعكبري^(٥)، فعلى ذلك لا خلاف في المسألة.

احتجاج الزجاج برأي سيبويه للرد على الفراء

التمييز وإنابة الواحد عن الجميع

قال الأزهري: ((وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَحَسِّنْ أَوْلِيَّتَكَ رَفِيقًا﴾ (النِّسَاءُ: ٦٩). قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: يَعْني النَّبِيَّينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)؛ لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ﴾ يَعْني الْمُطِيعِينَ، ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسِّنْ أَوْلِيَّتَكَ رَفِيقًا﴾ يَعْني الْأَنْبِيَاءَ وَمَنْ مَعَهُمْ. قَالَ: وَرَفِيقًا مُنْصُوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ يُتَوَبَّعُ عَنْ رُفَقَاءِ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: لَا يَجُوزُ أَنْ يُتَوَبَّعَ الْوَاحِدُ عَنِ الْجَمِيعِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ أَسْمَاءِ الْفَاعِلِينَ، لَا يَجُوزُ حَسَنَ أَوْلَئِكَ رَجُلًا. وَأَجَاذَهُ الرَّجَاجُ. وَقَالَ: وَهُوَ مَذْهَبُ سِيبَوَيْهِ))^(٦)، فعلى رأي الفراء أنه لا يجوز أن ينوب الواحد، وعلى رأي سيبويه أن (رفيقا) مفرد بمعنى الجميع وهو تمييز، وأيد الزمخشري سيبويه، فقال: ((والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز أن يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز))^(٧)، وفيما نقله القرطبي عن الأخفش هو أن (رفيقا) ينصب على الحال إذا كان بمعنى الكثرة الرفقاء، وينصب على التمييز إذا كان بمعنى الواحد، فقال: ((قال الأخفش: "رفيقا" منصوب على الحال وهو بمعنى رفاق ؛ وقال: انتصب على التمييز فوحد لذلك ؛ فكان المعنى وحسن كل واحد منهم رفاقا))^(٨)، وفصل أبو حيان الحديث عن ذلك تأييدا لسيبويه، فقال: ((وَالرَّفِيقُ الصَّاحِبُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِلِإِتِّفَاقِ بِهِ. وَعَلَى هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ رَفِيقًا عَلَى الْحَالِ مِنْ أَوْلَئِكَ، أَوْ عَلَى التَّمْيِيزِ. وَإِذَا انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ فَيُحْتَمَلُ أَنْ لَا يَكُونَ مَنْقُولًا، فَيَجُوزُ دُخُولُ مَنْ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ هُوَ الْمُتَمَيِّزُ. وَجَاءَ مُفْرَدًا إِمَّا لِأَنَّ الرَّفِيقَ مِثْلَ الْخَلِيطِ وَالصِّدِّيقِ، يَكُونُ لِلْمُفْرَدِ وَالْمُتَنَّى وَالْمَجْمُوعِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ. وَإِمَّا لِإِطْلَاقِ الْمُفْرَدِ فِي بَابِ التَّمْيِيزِ اكْتِفَاءً وَيُرَادُ بِهِ الْجَمْعُ، وَبِحَسَنِ ذَلِكَ هُنَا كَوْنُهُ فَاصِلَةً، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَنْقُولًا مِنَ الْفَاعِلِ، فَلَا يَكُونُ هُوَ الْمُتَمَيِّزَ وَالنَّقْدِيرُ: وَحَسَنَ رَفِيقًا أَوْلَئِكَ، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ مِنْ وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَوْلَئِكَ إِشَارَةً إِلَى مَنْ يُطِيعُ اللَّهَ وَالرَّسُولَ، وَجُمِعَ عَلَى مَعْنَى مَنْ وَيَجُوزُ فِي انْتِصَابِ رَفِيقًا إِلَّا وَجْهَ السَّابِقَةِ))^(٩)، وتابعه السمين الحلبي^(١٠)، وابن عادل^(١١)، فعلى ذلك فإن تأييد العلماء لرأي سيبويه واضح.

(١) تهذيب اللغة: ٦/ ٢٦٢.

(٢) المقتضب: ٤/ ٢١٦.

(٣) علل النحر: ٣٤٤.

(٤) ينظر: المص في العربية: ١١١.

(٥) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب: ١/ ٣٣٧.

(٦) تهذيب اللغة: ٩/ ١٠٠.

(٧) الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: ١/ ٥٦٣.

(٨) الجامع لأحكام القرآن: ٥/ ٢٧٢.

(٩) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٧٠١.

(١٠) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٤/ ٢٥.

(١١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٦/ ٤٨١.

الموافقة في الرأي بين سيبويه وأبي إسحاق

اسم الإشارة (ذلك)

قال الأزهري: ((قَالَ الْفَرَّاءُ^(١): اجْتَمَعَ الْفَرَّاءُ عَلَى تَخْفِيفِ النُّونِ مِنْ (ذَانِكَ)^(٢)، وَكَثِيرٍ مِنَ الْعَرَبِ يَقُولُ: فَذَانِكَ قَائِمَانِ... وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: فَذَانِكَ، تَنْثِيَةً (ذَاكَ)، وَذَانِكَ، تَنْثِيَةً ذَلِكَ، يَكُونُ بَدَلُ اللَّامِ فِي ذَلِكَ تَشْدِيدُ النُّونِ فِي (ذَانِكَ). وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: الْإِسْمُ مِنْ (ذَلِكَ): ذَا، وَ (الْكَافِ) زَيْدٌ لِلْمَخَاطَبَةِ، فَلَا حَظَّ لَهَا فِي الْإِعْرَابِ. قَالَ سَيْبَوَيْهِ: لَوْ كَانَ لَهَا حَظٌّ فِي الْإِعْرَابِ لَقُلْتُ: ذَلِكَ نَفْسُكَ زَيْدٌ، وَهَذَا خَطَأٌ. وَلَا يَجُوزُ إِلَّا: ذَلِكَ نَفْسُهُ زَيْدٌ، وَكَذَلِكَ ذَانِكَ، يَشْهَدُ أَنَّ الْكَافَ لَا مَوْضِعَ لَهَا، وَلَوْ كَانَ لَهَا مَوْضِعٌ لَكَانَ جَرًّا بِالْإِضَافَةِ، وَالنُّونُ لَا تَدْخُلُ مَعَ الْإِضَافَةِ، وَاللَّامُ زِيدَتْ مَعَ ذَلِكَ لِلتَّوَكِيدِ، تَقُولُ: ذَلِكَ الْحَقُّ، وَهَذَا الْحَقُّ. وَيَقْبَحُ: هَذَا الْحَقُّ؛ لِأَنَّ اللَّامَ قَدْ أَكْدَتْ مَعَ الْإِشَارَةِ وَكُسِرَتْ لِلتَّلَاقِ السَّاكِنِينَ، أَعْنِي الْأَلْفَ مِنْ (ذَا)، وَاللَّامَ الَّتِي بَعْدَهَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ اللَّامُ سَاكِنَةً، وَلَكِنَّهَا كُسِرَتْ لِمَا قُلْنَا)).^(٣)، هُنَاكَ مُوَافَقَةٌ وَاضِحَةٌ فِي تَنْثِيَةِ (ذَاكَ) وَأَنَّ الْكَافَ مَزَادَةٌ لِأَجْلِ الْمَخَاطَبَةِ وَلَا حَظَّ لَهَا مِنَ الْإِعْرَابِ، إِلَّا أَنْ رَأَى سَيْبَوَيْهِ هَذَا لَمْ أَجِدْ لَهُ مَحَلًّا فِي كِتَابِهِ كُلِّ مَا يَوْجَدُ هُوَ قَوْلُهُ: ((وَكَذَلِكَ هَاأَنْذَا، وَهِيَ نَحْنُ أَوْلَاءُ، وَهِيَ هُوَ ذَاكَ، وَهِيَ هُمَا ذَانِكَ، وَهِيَ هُمُ أَوْلَاكَ، وَهِيَ أَنْتَ ذَا، وَهِيَ أَنْتُمَا ذَانِ، وَهِيَ أَنْتُمْ أَوْلَاءُ، وَهِيَ أَنْتُنَّ أَوْلَاءُ، وَهِيَ هُنَّ أَوْلَاكَ. وَإِنَّمَا اسْتَعْمَلْتُ هَذِهِ الْحُرُوفَ هُنَا لِأَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي تَكُونُ عَلَامَةً فِي الْفِعْلِ، وَلَا عَلَى الْإِضْمَارِ الَّذِي فِي فِعْلٍ. وَزَعَمَ الْخَلِيلُ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ هَا هُنَا هِيَ الَّتِي مَعَ ذَا إِذَا قُلْتَ هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا هَذَا أَنْتَ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا أَنْتَ بَيْنَ هَا وَذَا؛ وَأَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا أَنَا هَذَا وَهَذَا أَنَا، فَقَدِمُوا هَا وَصَارَتْ أَنَا بَيْنَهُمَا)).^(٤)، فَجَعَلَ سَيْبَوَيْهِ (ذَانِكَ) مَعَ (هُمَا) لِأَجْلِ التَّنْثِيَةِ.

وبين الفراء اجتماع القراء على تخفيف النون إلا أنه لم يتطرق إلى مسألة التنثية على الرغم من أنه قد أتى بمثال يبين تلك التنثية، فقال: ((اجتمع القراء على تخفيف النون من (ذَانِكَ) وكثير من العرب يقول (فَذَانِكَ) و(هَذَانِ قَائِمَانِ))^(٥)، غير أن المبرد قد بين تلك التنثية بعبارة دقيقة، فقال: ((فَمَنْ قَالَ فِي الرَّجُلِ (ذَاكَ) قَالَ فِي الْإِثْنَيْنِ (ذَانِكَ) وَمَنْ قَالَ فِي الرَّجُلِ (ذَلِكَ) قَالَ فِي الْإِثْنَيْنِ (ذَانِكَ) بِتَشْدِيدِ النُّونِ / تَبْدُلُ مِنَ اللَّامِ نُونًا، وَتَدْعُمُ إِحْدَى النُّونَيْنِ فِي الْآخَرَى، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: {فَذَانِكَ بَرَهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ})).^(٦)، فتشديد النون على رأي المبرد؛ لأن اللفظة تنثية لـ (ذلك) فعوضت النون عن اللام والعكس واضح، في حين ذهب الطبري إلى بيان اختلاف القراء فيها مع بيانه لنظرة النحاة حولها، فقال: ((واختلفت القراء في قراءة قوله: (فَذَانِكَ) فقرأته عامة قراء الأمصار، سوى ابن كثير وأبي عمرو: (فَذَانِكَ) بتخفيف النون، لأنها نون الاثنتين، وقرأه ابن كثير وأبو عمرو: "فَذَانِكَ" بتشديد النون. واختلف أهل العربية في وجه تشديدها، فقال بعض نحويي البصرة: ثقل النون من ثقلها للتوكيد، كما أدخلوا اللام في ذلك. وقال بعض نحويي الكوفة: شددت فرقا بينها وبين النون التي تسقط للإضافة، لأن هاتان وهذان لا تضاف. وقال آخر منهم: هو من لغة من قال: هذا قال ذلك، فزاد على الألف ألفا، كذا زاد على النون نونا ليفصل بينهما وبين الأسماء المتمكنة، وقال في (ذَانِكَ) إنما كانت ذلك فيمن قال: هذان يا هذا، فكرهوا تنثية الإضافة فأعقبوها باللام، لأن الإضافة تعقب باللام. وكان أبو عمرو يقول: التشديد في النون في (ذَانِكَ) من لغة قريش)).^(٧)، فأهل النحو على رأي الطبري مختلفون في تشديد النون باختلاف نظراتهم، إلا النحاس فقد رفض الإتيان بتنثية لـ (ذَانِكَ)؛ لأنها مثناة، فقال: ((فأما فذَانِكَ وفذَانِيكَ فلا وجه لهما)).^(٨)، وبذلك لم أجد من يرد على رأي سيبويه وهذا يدل على الموافقة الواضحة لرأيه، بل يدل على اتباع سيبويه لابن أبي إسحاق؛ لأنه متقدم عليه؛ ولأن سيبويه من تلاميذ ابن أبي إسحاق...

(١) ينظر: معاني القرآن: ٢/ ٣٠٦.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٢.

(٣) تهذيب اللغة: ٢٨/ ١٥، وينظر: معاني القراءات للأزهري: ٢/ ٢٥١.

(٤) الكتاب: ٢/ ٣٥٣- ٣٥٤.

(٥) معاني القرآن: ٢/ ٣٠٦.

(٦) المقتضب: ٣/ ٢٧٥.

(٧) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاك: ١٩/ ٥٧٦.

(٨) إعراب القرآن: ٣/ ١٦٢.

رد سيبويه على الكسائي والفراء

مسألة النصب ب (إذا)

قال الأزهري في: ((تفسير إذ وإذا وإن: قال الليث: تقول العرب: (إذ) لما مضى، و (إذا) لما يستقبل الوقتين من الزمان. قال: و(إذا) جواب تأكيد للشرط، ينون في الاتصال، ويسكن في الوقف... وروى الفراء عن الكسائي أنه إذا قال: (إذا) منونة، إذا خلت بالفعل الذي في أوله أحد حروف الاستقبال نصبت، تقول من ذلك: إذا أكرمك، فإذا حلت بينها وبينه بحرف رفعت ونصبت، فقلت: فإذا لا أكرمك، ولا أكرمك... قال أبو العباس أحمد بن يحيى^(١): وهكذا يجوز أن يقرأ: (فإذا) لا يؤثون الناس ثقيراً (النساء: ٥٢) بالرفع والنصب. قال: وإذا حلت بينها وبين الفعل باسم فزفعه: تقول: إذا أخوك يكرمك، فإن جعلت مكان الاسم قسماً نصبت، فقلت: إذا والله تمام، فإن أدخلت اللام على الفعل مع القسم رفعت، فقلت: إذا والله لتتدّم. وقال سيبويه: والذي نذهب إليه ونحكيه عنه أن (إذا) نفسها الناصبة، وذلك لأن (إذا) لما يستقبل لا غير في حال النصب، فجعلها بمنزلة (أن) في العمل كما جعلت (لكن) نظيرة (أن) في العمل في الأسماء. قال: وكلا القولين حسن جميل.))^(٢)، فالذي يتبين من مما سبق وما يهمننا منه هو أن (إذا) إذا دخلت على المضارع ولم يفصل بينها وبين المضارع فاصل نصبته، وإذا فصل فالمضارع يرفع وينصب، والذي أراد أن يبينه سيبويه هو أن (إذا) هي الناصبة للمضارع فجعلها بمنزلة (أن) المصدرية الناصبة للمضارع، معللاً ذلك بأنها تخص المضارع للمستقبل فقط، وليس النصب على تقدير (أن) المصدرية، وقال المبرد: في ((هذا باب الحروف التي تنصب الأفعال):.... وأعلم أن ها هنا حروفاً تنصب بعدها الأفعال وليست الناصبة وإنما (أن) بعدها مضمرة بالفعل منتصب ب أن وهذه الحروف عوض منها ودالة عليها فمن هذه الحروف الفاء والواو وأو... وكذا حتى وإن وكان الخليل يقول إن أن بعد إذن مضمرة))^(٣)، فالمبرد لم يبين (إذا) المنونة في حروف النصب، وقال المبرد أيضاً في ((هذا باب إذن): أعلم أن إذن في عوامل الأفعال كظننت في عوامل الأسماء... إذن إذا اعتمد الكلام عليها نصب بها وإذا كانت بين كلامين أحدهما في الآخر عامل ألغيت ولا يجوز أن تعمل في هذا الموضع كما تعمل ظننت إذا قلت زيدا ظننت قائماً؛ لأن عوامل الأفعال لا يجوز فيها التقديم والتأخير لأنها لا تتصرف فأما الموضع الذي تكون فيه مبتدأة وذلك قولك إذا قال لك قائل أنا أكرمك قلت إذن أجزيك وكذلك إن قال انطلق زيد قلت إذن ينطلق عمرو...))^(٤)، فهذا كله حول (إذن) المحققة بالنون وليس التوئين، وفي (إذا) قال ابن السراج: ((إذا: لما يستقبل من الدهر وفيها مجازاة وهي ظرف وتكون للشيء ثوابه في حال أنت فيها وذلك قولك: مررت فإذا زيد قائم...))^(٥)، ومع ذلك ابن السراج لم يبين حال اعرابها إذا دخلت على الاسم أو الفعل، وبين الزمخشري دورهما في الجملة، فقال: ((وهما مضافتان أبداً. إلا إذ تضاف إلى كلتا الجملتين، وأختها لا تضاف إلا إلى الفعلية. تقول جئت إذ زيد قائم، وإذا قام زيد، وإذ يقوم زيد، وإذ زيد يقوم. وقد استقبحوا إذ زيد قام. وتقول إذا قام زيد... وفي إذا معنى المجازاة دون إذ إلا إذا كفت... وقد تقعان للمفاجأة كقولك بينا زيد قائم إذ رأى عمراً، وبينما نحن بمكان كذا إذا فلان قد طلع علينا، وخرجت فإذا زيد بالباب.... وكان الأصمعي لا يستقصح إلا طرحهما في جواب بينا وبينما... ويجاب الشرط بإذا كما يجاب بالفاء، قال تعالى: " وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون ".))^(٦)...

وبذلك فلا يوجد من يرد على سيبويه حول كون (إذا) هي الناصبة للمضارع وجعلها بمنزلة (أن) المصدرية الناصبة للمضارع، كونها تخص المضارع للمستقبل فقط، وليس النصب على تقدير (أن) المصدرية وهذا يدل على تفرد عمن سبقه أيضاً...

(١) ينظر: المقتضب: ١٢/٢.

(٢) تهذيب اللغة: ٣٦/١٥ - ٣٩.

(٣) المقتضب: ٦/٢ - ٧.

(٤) المقتضب: ١٠/٢.

(٥) الأصول في النحو: ١٧٧ - ١٧٨.

(٦) المفصل في صناعة الإعراب: ٢١٣ - ٢١٤.

تفرد سببويه عن سبقه وتأيد من جاء بعده له نفي الفعل ب (لما، ولم، وما، ولا، ولن)

قال الأزهري: ((قال الزجاج: (لما) جوابٌ لقَوْلِ الْقَائِلِ: قد فعل فلانٌ، فجوابه: لَمَّا يَفْعَل. وإذا قَالَ: فعل، فجوابه: لم يَفْعَل. وإذا قَالَ: لقد فعل، فجوابه: مَا فَعَلَ. وإذا قَالَ: هُوَ يَفْعَل، يُرِيدُ مَا يَسْتَقْبِلُ، فَجَوَابُهُ: لَنْ يَفْعَلَ، وَلَا يَفْعَل. وَهَذَا مِنْ كَلَامِ سَبِيَّوِيهِ.))^(١)، وقد خصص سببويه باباً لذلك قال فيه: ((هذا باب نفي الفعل: إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل. وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لَمَّا يَفْعَل. وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعل. لأنه كأنه قال: واللّه لقد فعل فقال: والله ما فعل. وإذا قال هو يفعل، أي هو في حال فعل، فإن نفيه ما يفعل. وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل. وإذا قال لفعل فنفيه لا يفعل، كأنه قال: واللّه ليفعل فقلت واللّه لا يفعل. وإذا قال: سوف يفعل فإن نفيه لن يفعل.))^(٢)، وبذلك فعلى رأي سببويه أن النفي يكون ب (لما) عندما يسبق الفعل (قد)، مثل (قد فعل فلان)، وإذا تجرد من (قد) فالنفي ب (لم)، مثل قوله (فعل فلان)، وإذا دخلت اللام على (قد) فتصبح (لقد) فالنفي يكون ب (ما)، وإذا لم يكن الفعل واقعاً أي متعدياً ولم يسبق بقدر فنفيه ب (لا) وكذلك في نفي جواب القسم، وإذا سبق الفعل سين التنفيس الاستقبالية فنفيه ب (لن) وهذا ما لم نجد من يردده...

وهذا ابن السراج نجده يصرح بكون (لم) تقلب معنى المضارع إلى الماضي، وأن (لما) مكونة من (لم) و (ما)، فقال: ((أما لَمْ فتدخلُ على الأفعال المضارعة، واللفظُ لفظُ المضارع والمعنى معنى الماضي، تقول: لَمْ يَقَمْ زيدٌ أمس، وَلَمْ يَقْعُدْ خالدٌ، وأما "لَمَّا" لَمْ ضُمَّتْ إِلَيْهَا "مَا" وَبُنِيَتْ مَعَهَا فغُيِّرَتْ حَالُهَا كَمَا غُيِّرَتْ لَوْ "مَا" وَنَحْوُهَا، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَقُولُ: لَمَّا وَلَا يَتْبَعُهَا شَيْءٌ، وَلَا تَقُولُ ذَلِكَ فِي "لَمْ" وَجَوَابُ "لَمَّا" قَدْ فَعَلَ، يَقُولُ الْقَائِلُ: لَمَّا يَفْعَلُ فَيَقُولُ: قَدْ فَعَلَ، وَيَقُولُ أَيْضًا لِلأمر الذي قد وقع لوقوع غيره وتقول: لما جئت جئت، فيصيرُ ظرفاً...))^(٣)، وهذا تأييد لعملاق العربية سببويه، وأضاف الزجاجي: ((لما تكون بِمَعْنَى لَمْ فِي نَفْيِ الْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿بَلْ لَمَّا يَدْفَعُ عَذَابٌ﴾ {ص: ٨}، وَتَكُونُ بِمَعْنَى إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ {الطارق: ٤} أَيْ إِلَّا عَلَيْهَا، فَإِذَا رَأَيْتَ لَهَا جَوَاباً فَهِيَ لِأَمْرٍ يَقَعُ بِوُقُوعِ غَيْرِهِ بِمَعْنَى حِينَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَمَّا أَسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ {الزخرف: ٥٥}، أَيْ حِينَ آسَفُونَا وَ﴿لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ {هود: ١٠١} أَيْ حِينَ جَاءَ.))^(٤)، وإضافات الزجاجي هنا لا تعني الرد على سببويه أو عدم تأييده لسببويه بل تعد في غاية الأهمية كونها أضافت إلى رصيد (لما) ميزات حسنة، وقد تابع الزمخشري قول سببويه في حروف النفي وأضاف (إن)^(٥)، وما إلى ذلك من آراء جاءت مؤيدة لسببويه^(٦)...

اعتراض بين النحويين وسببويه

مسألة الجالب للباء في (بسم الله)

قال الأزهري: ((وَقَالَ النَّحْوِيُّونَ: الْجَالِبُ لِلْبَاءِ فِي (بِسْمِ اللهِ) مَعْنَى الْإِبْتِدَاءِ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَبْتَدِئُ بِاسْمِ اللهِ. وَقَالَ سَبِيَّوِيهِ: (الْبَاءُ) مَعْنَاهَا: الْإِلْصَاقُ، وَدَخَلَتْ (الْبَاءُ) فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى ﴿أَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ {آل عمران: ١٥١} لِأَنَّ الْمَعْنَى (أَشْرِكْ بِاللَّهِ): قَرْنِ بِاللَّهِ غَيْرِهِ، وَفِيهِ إِضْمَارٌ، وَالْبَاءُ لِلْإِلْصَاقِ وَالْقِرَانِ.))^(٧)، فعلى رأي النحويين أن الباء في (بسم) للابتداء وعلى رأي سببويه للإلصاق، وقال الزجاج: ((وزعم سببويه أن معنى الباء الإلصاق، تقول كتبتُ بالقلم والمعنى أن الكتابة ملصقة بالقلم، وهي مكسورة أبداً لأنه - لا معنى لها إلا الخفض فوجب أن يكون لفظها مكسوراً ليفصل بين ما يجز وهو اسم نحو كاف قولك كزيد، وما يجز وهو حرف نحو بزيد))^(٨)، وهذا

(١) تهذيب اللغة: ٢٥٢ / ١٥، وينظر: الكتاب: ١١٧ / ٣.

(٢) الكتاب: ١١٧ / ٣.

(٣) الأصول في النحو: ١٥٧ / ٢.

(٤) حروف المعاني والصفات: ١١.

(٥) المفصل في صنعة الإعراب: ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٦) ينظر: الملحة في شرح الملحة: ٧٠ / ١، والإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: ١ / ١٣٥، والجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٥.

(٧) تهذيب اللغة: ٤٣٩ / ١٥، وينظر: لسان العرب ط دار المعارف: ١٩٦ / ١.

(٨) معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٤١ / ١.

تأييد من الزجاج لسيبويه، وهذا الثعلبي نجده يعرض معنى آخر وهو التضمنين، فيقول: ((اعلم أنَّ هذه الباء زائدة، وهي تسمى باء التضمنين أو باء الإلصاق، كقولك: كتبت بالقلم، فالكاتب لاصقة بالقلم. وهي مكسورة أبداً والعلة في ذلك أن الباء حرف ناقص ممال. والإمالة من دلائل الكسر، قال سيبويه: لما لم يكن للباء عمل إلا الكسر كسرت.))^(١)، وتابع الرازي سيبويه، فقال: ((إِنَّ الْبَاءَ فِي قَوْلِهِ بِسْمِ اللَّهِ بَاءُ الْإِلْصَاقِ، وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِفِعْلٍ، وَالْقُدِيرُ: بِاسْمِ اللَّهِ أَشْرَعُ فِي أَدَاءِ الطَّاعَاتِ))^(٢)، وتابعه القرطبي^(٣)، وقال السمين الحلبي: ((والباء هنا للاستعانة كَعَمِلْتُ وبِالْقُدُومِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: أَقْرَأُ مُسْتَعِينًا بِاللَّهِ...))^(٤)، وبذلك فأكثر الآراء جاءت تأييداً لسيبويه كون الباء في (بسم الله) للإلصاق كون الباء ملصقة بـ (اسم) ودليل ذلك قول الزجاج سابقاً وهو انها مكسورة أبداً لأنه - لا معنى لها إلا الخفض فوجب أن يكون لفظها مكسوراً ليفصل بين ما يجز وهو اسم نحو كاف قولك كزيد، وما يجز وهو حرف نحو بزيد، لذلك نجانب سيبويه الرأي والله اعلم.

الخاتمة

عن الحمد لله القائل في كتابه: ﴿خَتَمَهُ، مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ {سورة المطففين: الآية ٢٦}، والصلاة على من ختمت به الرسالات خير خلق الله محمد (ﷺ) بن عبدالله الأمين ومن تبعه ووالاه إلى يوم الدين... فأهم ما تبين من حصاد بحثنا وبشكل موجز هو أن لآراء سيبويه صدارة القول في كتب المؤلفين فلا يخلو كتاب منها في عموم كتب اللغة، وكون الجانب النحوي مرمى بحثنا في تهذيب اللغة للأزهري فكما بينا النتائج في كل مسألة والتي منها أننا قد نجد أحيان رأي سيبويه يرد كما في المسألة الثانية بينه وبين الزجاج، وأحياناً قد ينسب المتأخرون رأياً لسيبويه قد نفاه عنه الأزهري وغيره كما في المسألة الأولى في انكار سيبويه بدل الغلط في القرآن الكريم... وعلى هذه الشاكلة تواردت نتائج البحث في كل مسألة...

هذا والله أعلى وأعلم عليه توكلت وإليه أنيب... سائلاً إياه أن يجعلني من أصحاب علم هذا الزمان...

ثبت المصادر والمراجع

- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط١، الناشر: منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: عبد الحسين الفتلي، (د.ط. ت)، الناشر: مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، ط١، المكتبة العصرية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، (د. ط)، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، ط١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م.

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٩٢/١.

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: ٢٣/١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٩٩/١.

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ١٤/١.

- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م
- تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- تفسير اللباب لابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، ط١، الناشر: دار الفكر العربي، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.
- جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني (المتوفى: ١٣٦٤هـ)، ط٢٨، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- حروف المعاني والصفات، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٣٧هـ)، المحقق: علي توفيق الحمد، ط١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٤م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، (د. ط. ت)، الناشر: دار القلم، دمشق.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- علل النحو، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق (المتوفى: ٣٨١هـ)، المحقق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط١، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (د. ط. ت)، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
- اللباب في علل البناء والإعراب، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: د. عبد الإله النبهان، ط١، الناشر: دار الفكر - دمشق، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي، (د. ط. ت)، دار المعارف - القاهرة.
- اللوحة في شرح الملح، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ (المتوفى: ٧٢٠هـ)، المحقق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط١، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤ م.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، المحقق: فائز فارس، (د. ط. ت)، دار الكتب الثقافية - الكويت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣ هـ. ١٩٩٣ م.
- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م.
- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- معاني القراءات، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، ط١، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
- معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتور هدى محمود قراعة، ط١، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، (د. ت).
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، ط١، الناشر: عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- معجم الأديباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٢٠ هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: د. علي بو ملحم، ط١، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٩٣.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د. ط. ت)، الناشر: عالم الكتب. - بيروت.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- المنصف، شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، ط١، الناشر: دار إحياء التراث القديم، في ذي الحجة سنة ١٣٧٣هـ - أغسطس سنة ١٩٥٤م.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: ٥٧٧هـ)، المحقق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، (د. ط. ت)، الناشر: المكتبة التوفيقية - مصر.